

بأنه قصر في دفاعه عن عقيدة المسيحيين ، وأنه أظهر المحامي المسيحي بمظهر المحامي الضعيف الذي لا يملك حججاً قوية لأخفام خصمه ، وقد كان في ذلك متعمداً لا محالة^(١) .

تأثر (لبنك) بآراء هذا الفيلسوف . وانبرى على الرغم من تفاوت عهده عنه للدفاع عن آرائه فدافع عنه في « Vindicate » دفاعاً أوقمه في مثل ما وقع فيه ذلك الكاتب المفكر . ذكر بأن الفيلسوف لم يكن مقصراً فيما كتبه ولم يكن متعمداً إضفاف دليل المسيحيين . وكل ما فعله هو أنه صاغ دليل النصارى على لسانه . ولم يتمكن النصارى من إبراز أدلة أقوى من تلك الأدلة ، ولم يتمكن المسيحيون من إيراد حجج أقوى من تلك الحجج التي درجها كاردانوس^(٢) فأضاف بهذا القول دليلاً جديداً على ملك الأدلة التي كان يذكرها الناس في إثبات صروق (لبنك) وزوغانه عن جادة الحق .

ولم تكن دراسة الفلسفة في ذلك العهد من الدراسات التي يرتاح لها رجال الدين ، وكان لبنك وهو في مكتبة « ولفنبتل » « wolffenbüttel » يقرأ كتب الفلسفة بنهم ويقبل عليها في ساعات فراغه كل الإقبال . ولم يكف بالمطالعة بل صار يخرج كتب الفلسفة إلى الأسواق ويشوق الناس إلى دراستها ، وكانت أحب فلسفة إليه هي فلسفة « رايمارس » « Reimarus » (١٦٩٤ م ١٧٦٨ م)^(٣) . وهذا الفيلسوف هو على رأس الفلاسفة الذين عرفوا باسم « Popularphilosophi » . وقد شاعت فلسفتهم في القرن الثامن عشر على الأخص . وكانت تحاول تبسيط مبادئ فلسفتها وتقريبها من أذهان الناس للحصول على أكبر عدد ممكن من الأتباع^(٤) . وكان هذا الفيلسوف من أولئك الفلاسفة الذين اعترفوا بوجود إله هو أساس هذا العالم وسببه . غير أنه كان كأكثر الفلاسفة « التوضيحيين » ينكر خوارق العادات ولا يؤمن بالمعجزات ، ويحدد تدخل الله في شؤون العالم وفي شؤون الأفراد وكل ما في الكون من مخلوقات . وكان يدعو

الإيطالي اسكاتوليكسي حر النزعة بالنسبة إلى رجال وقته ، واسع التفكير ، بمتنق مذهباً يمارض مذهبه ، هو مذهب « وحدة الوجود » يرى أن كل ما في الطبيعة حي يجري فيه ماء الحياة حتى المادة الجامدة لا تخلو من الحياة . وأن الخالق في الكون جميعه والكون جميعه في الخالق بحيث لا نستطيع الفصل بين الاثنين . هذه هي الحقيقة ، حقيقة الله في الكون ، إلا أن قليلاً من الناس من يدرك هذه الحقيقة ، وقليل من الناس من يحاول الإدراك وفهم الحقائق^(٥) .

كانت في آرائه هذه جرأة بالطبع بالنسبة إلى العالم الذي عاش فيه ، جرأة خلقت له مثبات من المث كل والمصاعب فيما بعد . وكان يرى بالإضافة إلى كل هذا بأن الأديان واحدة لها أهداف واحدة هي النظم الأخلاقية وضبط حياة الإنسان ، فيجب أن تستخدم هذه النظم في خدمة الغرض الذي من أجله نشأت ، وللحفاظ على الوحدة ، ولذلك حذر من الخوض في المواضيع الدينية والمشاكل الدينية باللغة المحلية ، لأن هذا الجدل يدعو إلى تبليبل رأى الأمة وتفرق صفوفها . أما فيما عدا الجدل من عقيدة فيصبح لكل مواطن أن يمتنع ما يشاء من العقائد ، وله أن يدين بأي دين^(٦) .

وبهذه الفكرة كتب الفيلسوف الإيطالي أفكاره في : « De Subtilitate » تلك المحاورة « ديالوك » « Dialog »^(٧) الفلسفية التي ينبري فيها رجال يمثلون أربعة أديان للدفاع عن عقائدهم ودياناتهم التي يعتقدونها ، الديانة اليونانية الرومانية ، والديانة اليهودية ، والديانة المسيحية ، ثم الديانة الإسلامية . وقد حدث في هذه المحاورة كل محام بما كان يعتقد أصحاب ذلك الدين . فتحدث على لسان الوثني ، وتحدث على لسان اليهودي ، وتحدث على لسان المسيحي ، وتحدث على لسان السلم ، وذكر دليل كل واحد منهم . وهذه محاورة جريئة بالطبع ، أوقعت المؤلف في ضرائق الكلام ، وهوجم على محاورته هذه هجوماً عنيفاً اتهم

(١) Robertson P. 10.

(٢) Robertson Introduction

(٣) Robertson Intro. وقد أخرج لبنك بعض مؤلفاته

Schmidt, P. 546. Straus 1862.

(٤) Schmidt, P. 500 راجع

(١) راجع منه قاموس الفلسفة لشيد مادة « كاردانوس » وقد

ترجمت بعض مؤلفاته إلى الانكليزية واللغات الأخرى

(٢) راجع Schmidt P. 92.

(٣) محاورة وقد كانت فنا من فنون الأدب عند اليونان راجع

Hirzel. The Dialog 2. vol. 1895.

حكيم وعن قصة الخاتم ، وفي أوروبا تحدث الناس عن السلطان صلاح الدين وعن تساهله بالنسبة للمسيحيين واليهود .

وقد تطورت هذه القصة وأمثالها بمرور الزمن فنصت فيما بعد على أن الخاتم الحقيقي كان يعرف من بين الخواتم الأخرى بما كان يظهر منه من الأعمال الخارقة والمعجزات . وكان هذا دليلاً على أنه هو الأصل وهو خاتم المسيحيين^(١) . كما تطورت صورة ناثان إلى أن جعل لسنك صورة هذا الشخص تنطبق على صورة صديقه الفيلسوف اليهودي « موسى مندلسن Moses Mendelssohn » (١٧٢٩ - ١٧٨٦ م) والكاتب الذي عاش في مدينة برلين . وكان شخصية فذة معروفة في أوساط تلك المدينة حتى تمكن بفضل منزلته من تخفيف حدة البروسيين بالنسبة لليهود^(٢) .

وقد ساعد « مندلسن » صاحبنا كثيراً وسمى عند تاجر من تجار مدينة « هامبرك » حتى أقضه مالا طبع به بعض كتبه . وتأثر بكثير من آراء مندلسن ؛ فأخذ بأنكاره بالنسبة إلى الفلسفة اللاهوتية والأديان ولا شك في أن تلك القصص الدينية التي كان يسمعه من « موسى مندلسن » دخلا في عقل عقلية لسنك وفي قصة « ناثان الحكيم » .

واستعان لسنك بمنصر آخر هو التاريخ الشرقي ذاته . وكانت أوروبا في هذا العهد ولا سيما فرنسا قد تذوقت الأدب الشرقي وأقبلت عليه ، وسار الأدباء يبحثون بين ثنايا القصص الشرقي لينسجوا منه نسجاً جديداً . وكان فولتير الذي تعرف عليه لسنك في برلين ، والذي اتصل به اتصالاً وثيقاً ، في طليمة هؤلاء الكتاب الذين استعانوا بالخيال الشرقي وتاريخ الشرق . ولفولتير هذا مسرحية زير « Zaire » وكانت هذه المسرحية^(٣) قد اكتسبت شهرة واسعة ومثلت في برلين ، وكان لسنك بالطبع ممن حضر التمثيل ودرس الرواية وله « دراما محمد Mahamet » . تأثر لسنك في « ناثان الحكيم » بقصة « Zaire » كثيراً

إلى « الديانة الطبيعية العقلية » ويهاجم أسفار التوراة والأنجيل وينتقدها انتقاداً مرّاً ، لذلك تعرض بالطبع إلى حملات رجال الدين عليه وإلى نقد قوى مرير^(٤) .

تعرض لسنك إلى نقد رجال الدين ، إلى نقد « كوتر » Goetze على الأخص فكانت بينهما مآثرات علمية تدخل فيها أناس من عشاق الجدل الفلسفي الديني ، وقد تمكن « كوتر » هذا من إثارة مجالس الأقاليم على لسنك ، فأصدرت تلك المجالس أمراً إلى دوائر الرقابة تطلب فيه ألا يسمح للسنك بنشر أي شيء إلا بإذن من الحكومة ، فكان في هذا القرار توفيق لرجال الدين .

وكان (لسنك) قد اطلع على آراء فيلسوف إيطالي آخر هو « بوكاجيو » Boccaccio (١٣١٣ - ١٣٧٥ م) الكاتب الإيطالي الفيلسوف .

وقد وجه هذا العبقرى كزيميليه دانتي « Dante » (١٢٦٥ - ١٣٢١ م) و « بترركا » Petrarca أنظار قومه نحو مثل جديدة ، نحو النبل الإنسانية التي تدعو إلى التسامح في مقابل تعصب الكنيسة وتمسكها بآرائها الدينية . وقد حث قومه على دراسة الشعر واللغة والفلسفة ، وقد مهد هو وزملاؤه بذلك الطريق لما سمي فيما بعد بإسم : « عصر النهضة والأحياء » Renaissance^(٥) .

واتصل لسنك عن طريق الترجمة هؤلاء فقراء ديكامرون Decameron لبوكاجيو ، وكان هذا الأثر الأدبي المهم قد ترجم إلى الألمانية في القرن الخامس عشر الميلاد وطبع في « أوكسبرك » سنة ١٤٨٩ للميلاد . ومنه استل صاحبنا مادة « ناثان الحكيم » . أخذ من « دكامرون » عناصر القصة الأولى ، وأضاف إليها بعض العناصر الجديدة التي كانت شائعة عند الأوربيين في ذلك الوقت . ولعل بوكاجيو نفسه كان قد أخذ قصصه من القصص الأوربية القديمة التي كانت شائعة قبل ذلك العهد ففي أسبانيا حيث طاشت الأديان الثلاثة كان الناس يتحدثون عن ملك متسامح

(١) Robertson. P. 30

(٢) The Encyclopaedia Britannica Art Lessing.

(٣) راجع معجم لاروس مادة « Zaire »

Robertson Nathan London 1912 University Cambridge,

(١) Scharer Article Lessing

(٢) Vorlander History of Philosophy P. 205.

الخلفاء من كتاب « تاريخ العرب في أيام الخلفاء » للأب « دي ماريني » « Abbé demarigny » وقد طبع هذا الكتاب بالفرنسية عام ١٧٥٠ للميلاد واستفاد من كتاب « التاريخ العام » « Universal History » الذي طبع بمدينة لندن عام ١٧٥٩^(١). وحاول لسنك الرجوع إلى المصادر الأولى، إلا أننا نشك في قدرة هذا الشاعر على ذلك لأنه لم يكن يعرف العربية، على أنه كان يستعين بالكتب المترجمة عن العربية. مثل ترجمات « Abbertus schulteus » وترجمة جلان (١٧٠٤ - ١٧٠٨) لألفية وليلة^(٢) والترجمات الأخرى، وكان يستعين بالمستشرقين أنفسهم أمثال المستشرق ريسكي « Reiske » الشهير. ومع ذلك فإن قصة « ناثان الحكيم » لا تمثل التاريخ كما تمثل الأفكار الإنسانية والمبادئ الفلسفية التي تمثل نفسية هذا الفيلسوف.

محوار على

(بغداد)

(١) Lessing . Entwurf . Robertson . Intro

(٢) نفس المصدر .

حتى إننا لنجد أوجه التشابه ظاهرة في كثير من الموضع، كما تأثر بآراء فولتير وبأفكاره السياسية، حتى أما كن النقد تكاد تكون واحدة. وقد استعار منه حتى المصطلحات التي كان قد تخصص بها. فترجمها إلى الألمانية.

صور « صلاح الدين الأيوبي » في هذه الرواية وفي الروايات الأوربية الأخرى بصورة الملك الفيلسوف، بصورة فيلسوف حديث يحمل آراء القرن الثامن عشر ويشر بها بين الناس. فيدعو إلى « المذهب الإنساني » الذي استولى على أفئدة الناس في ذلك الوقت. ويحث الناس على اتباع الفلسفة التي كان يدعو إليها لسنك وأمثاله. فهو ملك شرقي وفيلسوف غربي في آن واحد^(١).

ولم يكن لسنك من المستشرقين كما أنه لم يكن من المؤرخين، ومعلوماته التاريخية عن الشرق معلومات عامة مأخوذة من هنا ومن هناك. أخذ حياة صلاح الدين من كتاب « تاريخ صلاح الدين سلطان مصر وموريا » للأب دي مارين « Abbé Marin » التي طبع سنة ١٧٥٨ م. كما أخذ معلوماته عن تاريخ

(١) Robertson . Introduction . P, 20

اقرأ : دراسات نقدية عن ثلاثين كاتباً وشاعراً وقصاصاً في مصر والبلاد العربية.

مع دراسات عامة عن :

وظيفة النقد . النقد والفن . طريقة الأداء في الفن . الصور والظلال في الفن . الوعي في الشعر . النفس الإنسانية في الشعر العربي . الطبيعة في الشعر العربي . نقحات من فارس . بين الشيرازي والغليام . وذلك في كتاب :

كتب وشخصيات

بفلم

الأستاذ منيد قطب

يصدر قريباً . يطلب من مجلة الرسالة والمكاتب النشرة

إدارة البلديات العامة - تنظيم

تقبل المطامات بمجلس قنا البلدي حتى ظهر يوم ٣٠ يولية سنة ١٩٤٦ عن توريد ٣٢٠ أردباً من الشمير بمعدل ٢٣ و ٥ قيراطاً و ١٤٠ حملاً من التبن الأبيض ويمكن الاطلاع على الشروط بالمجلس ويجب أن يرفق كل عطاء بتأمين ابتدائي قدره ٢ ٪ من قيمته .

٥٥٦٢